



# إشكالية ما بعد الإنسانية في عصر الذكاء الاصطناعي

## قراءة فلسفية وقانونية نقدية

بقلم

د. حسن هاشم حمود

باحث في مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية



## المقدمة

"ليس الإنسان في طور التحول إلى آلة، بل الآلة هي التي في طور التحول لتصبح إنساناً" بهذه العبارة الاستشرافية عبر الفيلسوف الفرنسي بول فاليري (Paul Valéry) في دفاتره الشهيرة، مطلع القرن العشرين، عن رؤية فلسفية سبقت عصرها، وبدت آنذاك أقرب إلى التأمل المجرد منها إلى الوصف الواقعي، وإذا لم يكن عالم الحاسوب الأمريكي جون مكارثي (John McCarthy)، حين صاغ مصطلح الذكاء الاصطناعي لأول مرة سنة 1955، يدرك أن هذا المفهوم سيغدو محوراً للنقاش العالمي بعد نحو نصف قرن، فإن فاليري قد استشرف، بمقولته تلك، ملامح المستقبل، فجاء قوله بمثابة نبوءة لما نعيشه اليوم.

لقد أثبتت أنظمة الذكاء الاصطناعي فاعليتها ونجاحتها في خدمة البشرية، وأسهمت في تطوير مجالات متعددة، غير أن هذه الثورة التكنولوجية تختلف جذرياً عن سابقاتها، سواء من حيث درجة التعقيد أو سرعة التحول، الأمر الذي أفرز جوانب مظلمة لا يمكن تجاهلها، بإطلاق العنوان للتحول الرقمي دون وعي بمخاطر الانحياز للذكاء الاصطناعي على حساب البعد الإنساني يضع المجتمعات المعاصرة أمام تحديات عميقة على مختلف الأصعدة، وفي مقدمتها التحديات القانونية، ولا سيما ما يتعلق بالمسؤولية المدنية. وفي هذا السياق، أعلن إيلون ماسك، مؤسس شركة تسلا، خلال الشهر الماضي، عن الجيل الجديد من الروبوتات الشبيهة بالإنسان، متحدّثاً عن اقتراب إنتاج نماذج أكثر تطوارًراً قادرة على إنجاز مهام معقدة كان يعتقد أنها حكر على البشر، مثل رعاية الأطفال أو حمل الأجنة، كما أشار إلى أن عدد الروبوتات قد يتجاوز عدد سكان العالم بحلول عام 2040. وتثير هذه التطورات، إلى جانب التصورات المستقبلية المرتبطة بها، جملة من الأسئلة الوجودية العميقة حول موقع الإنسان في عالم آخر في التشكّل: فإذا كانت الوظائف المادية والمعنوية للكائن البشري قابلة للنقل إلى كيانات غير بشرية، فهل سيظل الإنسان مركز الكون بالمعنى الذي قامت عليه النزعات الإنسانية الكلاسيكية؟ وما ملامح المجتمعات الهرجينة التي سيعيش فيها الإنسان مع الروبوت؟ ومن يقود الآخر؟ وإذا كانت الشرائح والأعضاء الاصطناعية المدعّمة بالذكاء الاصطناعي قادرة على رفع القدرات البشرية، فمن هم البشر الذين ستُعزَّز قدراتهم؟ ومن يمتلك سلطة الاختيار؟ وماذا عن البشر الذين قد يُتركون خلف الركب؟ وأي منظومة قيمية ستوجّه البشرية في عصر الروبوتات النشطة؟.

في هذا المقال سنسلط الضوء على أهمية الذكاء الاصطناعي ومخاطره ومدى جدية فكرة ما بعد الإنسانية.

## أولاً: أهمية الذكاء الاصطناعي

تبعد أهمية الذكاء الاصطناعي من الحضور المتزايد للآلة في حياة الإنسان، إذ سعى البشر منذ القدم إلى ابتكار الأدوات والآلات لتسهيل شؤون حياتهم اليومية، ومع تطور الحاجات البشرية، تطورت الآلات وتنوعت وظائفها، وتعزّزت العلاقة بين الإنسان والآلة على نحو متزايد، غير أن التعقيد المتزايد للوظائف والمهام في العصر الراهن جعل الآلات التقليدية عاجزة عن مواكبة المتطلبات الحاضرة والمستقبلية، وهو ما ضاعف من دور الذكاء الاصطناعي وأهميته.

### ويمكن إبراز أهمية الذكاء الاصطناعي في النقاط الآتية:

1. الإسهام في الحفاظ على تراكم الخبرات البشرية من خلال نقلها وتخزينها في الأنظمة الذكية.
2. أداء دور محوري في مجالات متعددة، كتشخيص الأمراض، وتحديد العلاجات المناسبة، وتقديم الاستشارات القانونية والمهنية، والتعليم التفاعلي.
3. تعزيز الموضوعية في اتخاذ القرار بفضل ما تتمتع به الأنظمة الذكية من دقة واستقلالية، بما يقلل من الانحياز والأخطاء البشرية.
4. تمكين استخدام اللغات الإنسانية في التفاعل مع الآلات بدل لغات البرمجة، مما يتيح الاستفادة منها لمختلف فئات المجتمع، بما في ذلك ذوي الاحتياجات الخاصة.
5. التخفيف من المخاطر والضغوط الواقعية على الإنسان من خلال إسناد الأعمال الشاقة والخطرة للآلات، وإتاحة الفرصة للبشر للانحراف في أعمال أكثر إنسانية.

## ثانياً: أنواع الذكاء الاصطناعي وفقاً للتطبيق والاستخدام

وفقاً لتصنيف (Tyagi, 2021)، يشمل سوق الذكاء الاصطناعي الأنواع الآتية:

- **تعلم الآلة:** وهو العلم الذي يمكن الآلة من تحليل البيانات والتحقق منها باستخدام خوارزميات رياضية متقدمة، بهدف مساعدة الإنسان على حل المشكلات.
- **الشبكات العصبية:** تعتمد على محاكاة عمل الجهاز العصبي البشري، من خلال الدمج بين علم الأعصاب والذكاء الاصطناعي لتنفيذ مهام معقدة.
- **الروبوتات:** تقوم على تداخل تخصصات متعددة مثل الهندسة الميكانيكية والكهربائية وعلوم الحاسوب.
- **الأنظمة الخبيرة:** تحاكي أنماط التفكير البشري في اتخاذ القرار للتعامل مع المشكلات المعقدة.
- **المنطق الضبابي:** يعالج المعلومات غير المؤكدة من خلال تقييم درجات الاحتمال، على غرار التفكير البشري.

- البرمجة اللغوية العصبية: تهدف إلى تمكين الآلات من فهم اللغات البشرية وتحليل النصوص وترجمتها.

ثالثاً: مخاطر وتهديدات استخدام الذكاء الاصطناعي رغم فوائده، ينطوي الذكاء الاصطناعي على مخاطر اقتصادية وأمنية وإنسانية، منها تهديد فرص العمل، والاستخدامات العسكرية، والهجمات السيبرانية، وتزييف المعلومات، والتلاعب بالبيانات، ما قد يؤدي إلى تفكير النسيج الاجتماعي، وتحويل الإنسان إلى مجرد وحدة بيانات داخل منظومة تقنية معقدة.

رابعاً: التكنولوجيا الحيوية كخارطة طريق للمستقبل ما بعد البشري تُعد التكنولوجيا الحيوية (Biotechnology) ثمرة تفاعلٍ معرفيٍّ متكامل بين مجموعة واسعة من العلوم والتخصصات، من بينها علم الأحياء، والطب، والهندسة، والتقنيات الحديثة، ويُقصد بها مختلف أشكال التدخل التقني في حياة الإنسان وجسده، من خلال عمليات زراعة الأنسجة، واستخدام الخلايا الجذعية، وإيقاعه تقنياً على قيد الحياة بواسطة أجهزة طبية متخصصة، كما تشمل التكنولوجيا الحيوية جميع أشكال التدخل في الكائن الحي، فضلاً عن التطبيقات الجزيئية المرتبطة بالجينات والبروتينات، وكل ما يتصل بالهندسة الوراثية وتطبيقاتها، وصولاً إلى إنشاء البطاقات الوراثية الجينية للجنس البشري وغيره من الكائنات الحية، سواء تم ذلك عبر تكيف الجينات، أو تعديلها، أو نقلها، أو عزلها، أو تنقيتها، أو تطعيمها، أو حتى دمجها.

ويُقصد بالเทคโนโลยيا الحيوية أيضاً القدرة على توظيف المعرف المختلفة المرتبطة بالكائنات الحية، والاستفادة من المهارات والابتكارات العلمية في شتى المجالات، ودراستها دراسة منهجية قائمة على أسس علمية دقيقة، بغية تطبيقها على الكائنات الحية بهدف الاستحداث أو التعديل وتحسين الأداء الحيوي، بما يخدم الكائن الحي والبيئة والإنسان على وجه الخصوص.

وفي هذا الإطار، دعا من أطلقوا على أنفسهم اسم «الإنسانيين الجدد» أو «أنصار الإنسان البديل» إلى تعزيز قدرات الإنسان إلى أقصى حد ممكن، بهدف صريح يتمثل في دعم التكنولوجيا الحيوية لتحسين حياة البشر، ويعتقد دعاة الإنسان البديل، ومن أبرزهم نيك بوستروم وماكس مور، أن التكنولوجيا الحيوية يمكن توظيفها لتحسين حياة الإنسان، كما يرون أنه لا توجد مبررات أو أوامر أخلاقية تحظر تطوير واستخدام تقنيات تعزيز القدرات البشرية، وقد عبر أحد الفلاسفة الم Thomists لعصر ما بعد الإنسان عن هذا التوجه بقوله إن الإنسان كائن ناقص، لم يستقر بعد على طبيعة نهائية، الأمر الذي يستوجب إعادة النظر في خصائصه وطبيعته، معتبراً أن «الطبيعة البشرية» ليست سوى أسطورة، ولا يوجد شيء طبيعي بصورة تامة.

## خامسًا: فكرة السير نحو ما بعد الإنسانية

يُعد مفهوم ما بعد الإنسانية مظلةً جامعة لعدد من المفاهيم والمدارس الفكرية، ويبرز ضمنه مفهومان أساسيان، في مقدمتهما مفهوم ما بعد الإنسانية (Posthumanism) ويشير هذا المفهوم أساساً إلى نقد الفكرة التقليدية التي تنظر إلى الإنسان بوصفه كائناً مركزاً متميّزاً عن غيره في الكون، ويسعى خطاب ما بعد الإنسانية إلى تفكيك الحدود الثنائية التي طالما حكمت الفلسفة الغربية، مثل: الإنسان/ غير الإنسان، الطبيعة/ الثقافة، الذات/ الموضوع، كما يهدف هذا التوجّه إلى إعادة النظر في مفهوم الوكالة ودورها، من خلال إدراج الكيانات غير البشرية، كالبيئة والآلات، ضمن دائرة الفاعلية والتأثير، وهو ما ينقطع مع مفهوم «وكالة غير البشر» الذي يدعم الاتجاه ذاته.

اما المفهوم الثاني لما بعد الإنسانية التقنية/ العابيرية الإنسانية (Transhumanism) وهو اتجاه فلسفـيـ تقـني يدعـو إـلـى تجاوز حدود الجسد والعـقـل البـشـري عـبـرـ التـكـنـوـلـوـجـياـ، بهـدـفـ تـحـسـينـ الإـنـسـانـ بـيـولـوـجـيـاـ ومـعـرـفـيـاـ، وربـماـ تـحـقـيقـ الـخـلـودـ أـوـ الـذـكـاءـ الـفـائقـ، أـبـرـزـ مـرـتكـزـاتـهـ، تعـزـيزـ الـقـدـراتـ الـبـشـرـيةـ (الـعـقـلـيـةـ، الـجـسـدـيـةـ، الـحـسـيـةـ) ودمـجـ الإـنـسـانـ معـ التـقـنـيـةـ (الـشـرـائـجـ، الـذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ، الـهـنـدـسـةـ الـوـرـاثـيـةـ)، والإـيمـانـ بـالـتـقـدـمـ الـعـلـمـيـ بـوـصـفـهـ أـدـاـةـ خـلـاصـ، وـالـسـعـيـ إـلـىـ الإـنـسـانـ الـمـحـسـنـ (Enhanced Human) أوـ الـكـائـنـ السـيـبـورـغـيـ.

ويؤكـدـ خـطـابـ ماـ بـعـدـ الإنسـانـيـةـ أـنـ الطـبـيـعـةـ الـبـشـرـيـةـ سـائـلـةـ، مـتـغـيرـةـ، وـمـتـشـابـكـةـ معـ كـيـانـاتـ غـيرـ بـشـرـيـةـ، فـمـعـ التـقـدـمـ السـرـيعـ فيـ مـجـالـاتـ الـذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ، وـالـتـكـنـوـلـوـجـياـ الـحـيـوـيـةـ، وـالـرـوـبـوـتـاتـ، بدـأـتـ الـخـطـوـطـ الـفـاـصـلـةـ بـيـنـ الـبـشـرـ وـغـيرـ الـبـشـرـ تـتـضـاءـلـ بـشـكـلـ مـتـزـاـيدـ، مماـ يـجـعـلـ الـأـسـئـلـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـهـوـيـةـ الـبـشـرـيـةـ، وـالـاسـتـقـالـلـيـةـ، وـالـأـخـلـاقـ، وـدـورـ الـتـكـنـوـلـوـجـياـ فيـ تـشـكـيلـ الـمـجـتمـعـاتـ الـمـسـتـقـبـلـةـ، فيـ صـمـيمـ الـخـطـابـ ماـ بـعـدـ الـإـنـسـانـ.

وـتـعـدـ التـكـنـوـلـوـجـياـ الـحـيـوـيـةـ منـ أـبـرـزـ القـضـاياـ الـمـطـرـوـحةـ لـلـنـقـاشـ فيـ عـصـرـناـ الـراـهنـ، لـمـ تـنـطـويـ عـلـيـهـ منـ أـبعـادـ مـعـرـفـيـةـ مـتـعـدـدـةـ، فـهـيـ منـ جـهـةـ مـوـضـوعـ عـلـمـيـ، وـمـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ قـضـيـةـ ذاتـ أـبعـادـ قـيـمـيـةـ وـفـلـسـفـيـةـ عـمـيقـةـ مـرـتـبـطةـ بـالـإـنـسـانـ، إـذـ يـؤـكـدـ الـمـتـحـمـسـونـ لـلـمـنـجـزـاتـ الـعـلـمـيـةـ أـنـ التـكـنـوـلـوـجـياـ الـحـيـوـيـةـ تمـثـلـ أـعـظـمـ هـدـيـةـ قـدـمـهـاـ الـعـلـمـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـياـ لـلـبـشـرـيـةـ، كـوـنـهـاـ سـتـنـقـلـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ عـصـرـ ماـ بـعـدـ الـإـنـسـانـ، وـهـوـ الـعـصـرـ الـذـيـ يـتـوقـعـ أـنـ يـلـبـيـ طـمـوـحـاتـ طـالـمـاـ سـعـيـ الـإـنـسـانـ لـتـحـقـيقـهـاـ، مـثـلـ جـسـدـ أـقـوىـ، عمرـ أـطـولـ، وـحـيـاةـ أـفـضلـ، وـتـتـعـاملـ مـعـهـ كـشـرـيـحةـ مـتـنـاهـيـةـ الصـفـرـ دـاخـلـ نـظـامـ كـوـنـيـ عـلـمـاـقـ لاـ يـفـهـمـهـ أـحـدـ فـهـمـاـ كـامـلـاـ، فـيـ حـيـاتـهـ الـيـوـمـيـةـ، يـسـتـقـبـلـ الـإـنـسـانـ عـدـدـاـ هـائـلـاـ مـنـ وـحدـاتـ الـبـيـانـاتـ عـبـرـ رـسـائـلـ الـبـرـيدـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـ، وـالـمـكـالـمـاتـ الـهـاتـفـيـةـ، وـالـمـقـالـاتـ، ثـمـ يـعـالـجـ هـذـهـ الـبـيـانـاتـ وـيـعـيـدـ بـثـ وـحدـاتـ جـدـيـدةـ مـنـهـاـ عـبـرـ الـمـزـيدـ مـنـ الرـسـائـلـ وـالـمـكـالـمـاتـ وـالـنـصـوصـ، وـلـاـ يـعـرـفـ الـفـردـ عـلـىـ وـجـهـ الدـقـةـ مـوـقـعـهـ دـاخـلـ هـذـاـ الـمـخـطـطـ الـكـوـنـيـ الـمـعـقـدـ، وـلـاـ كـيـفـيـةـ اـرـتـبـاطـ بـيـانـاتـ مـلـيـارـاتـ الـبـشـرـ وـالـحـوـاسـيـبـ الـأـخـرـىـ.

ومع ذلك، لا يملك الوقت لفهم هذا النظام، لأن شغافه المستمر بالاستجابة لتدفق البيانات المتواصل، وكلما زادت كفاءة الإنسان في معالجة البيانات، من خلال الرد على عدد أكبر من الرسائل، وإجراء المزيد من المكالمات، وكتابة المزيد من النصوص، أغرق محيطه بمزيد من البيانات، مما يولّد اضطرابات واختراقات جديدة لا يخطط لها أحد، ولا يتحكم بها أحد، ولا يفهمها أحد فهـما كاملاً، وكما يؤمن أنصار الرأسمالية الحرة بـ«اليد الخفية للسوق»، يؤمن أنصار «الذاتية» (Dataism) بـ«اليد الخفية لتدفق البيانات».

وفي عام 2015، ونظرًا للإشكالات التي أفرزها تشغيل الروبوتات وأنظمة الذكاء الاصطناعي، أنشأ الاتحاد الأوروبي مجموعة عمل تابعة للجنة الشؤون القانونية، بهدف دراسة هذه الانشغالات والإجابة عنها. وقد أصدرت هذه المجموعة تقريرها النهائي، الذي أفضى إلى صدور وثيقة «قواعد القانون المدني المتعلقة بالروبوتات» في فبراير 2017. وبالاطلاع على هذه الوثيقة، يتبيّن أن الاتحاد الأوروبي ينظر إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه آلة ذات منطق بشري قابل للتطور، فهو ليس مجرد شيء جامد عديم الإدراك، بل يُنظر إليه كخادم مطيع للإنسان، طالما كان الروبوت صنيعة ذكاء منسوب إلى الآلة، وعلى هذا الأساس، ابتكر الاتحاد الأوروبي ما يُعرف بنظرية «النائب البشري»، التي تقوم على فكرة تحويل المسؤولية عن الأضرار الناجمة عن أفعال الروبوت إلى نائب بشري، وهو ما أطلق عليه الفقه الفرنسي مصطلح "قرين الروبوت".

ومن خلال استقراء مضمون نظرية النائب البشري، التي تقوم دون افتراض الخطأ ودون توصيف الروبوت كشيء، وبناءً على توزيع المسؤولية على مجموعة من الأشخاص بحسب من ثبت في حقه الخطأ، يتضح أن الاتحاد الأوروبي استخدم مصطلح «النائب» دون «الحارس»، وهو ما يعني عدم اعتبار الروبوت مجرد شيء يحتاج إلى عنایة خاصة، وتتجدر الإشارة إلى أن الأساس الذي تقوم عليه مسؤولية النائب البشري يتمثل في الخطأ في التصنيع أو الإدارة، والذي يؤدي إلى عدم تفادي السلوك المنحرف للروبوت أثناء التشغيل، حتى وإن كان هذا السلوك متوقعاً، ويقتصر نطاق تطبيق هذه النظرية على الأفعال أو الإهمال الصادر عن الروبوت أثناء التشغيل العادي، حين يكون في حالة استقلال تام عن التدخل البشري، سواء على مستوى التفكير أو التنفيذ.

#### سادساً: منتقدوا فكرة ما بعد الإنسانية

يرى منتقدوا أطروحة ما بعد الإنسانية أن هذه الفكرة لا تمثل مجرد امتداد طبيعي للتقدم العلمي، بل تُعدّ من أخطر التصورات التي واجهت الإنسانية، لما تنطوي عليه من تهديد مباشر لمستقبل الإنسان، ولما تطرحه من تحديٍ جذري لمفاهيم راسخة عن الطبيعة البشرية، تشكّلت وتبlocرت عبر مسار تاريخي طويل، فالمسألة هنا لا تتعلق بتحسين شروط الحياة الإنسانية، بل بإعادة تعريف الإنسان ذاته، على نحو يفرغ المفهوم من مضمونه الأنثربولوجي والأخلاقي.

وانطلاقاً من هذا التصور، يرفض عدد من المفكرين السياسيين وعلماء الأخلاق واللاهوتيين الأطروحة القائلة بمرونة الطبيعة البشرية وقابليتها غير المحدودة للتعديل. ويأتي في مقدمة هؤلاء فرانسيس فوكوياما، ورونالد كول تورنر، وليون كاسي، وإريك باريتر، وجان بيتكيشتайн، وغيرهم، الذين حذّروا من أن الاستخدام المتزايد وغير المنضبط للتطبيقات البيوتكنولوجية على الجسد البشري لا يمثل تقدماً إنسانياً بقدر ما يشكل تقوياً للأسس التي تقوم عليها الإنسانية نفسها، فوفقاً لهؤلاء، ليست الطبيعة البشرية مجرد بناء اجتماعي أو مفهوم اعتباطي قابل للتفكيك، بل هي بنية فطرية تتجسد في منظومة من السلوكيات والخصائص النمطية، ذات الجذور الوراثية، والتي تمنح الإنسان حسه الأخلاقي وقدرته على التفاعل الاجتماعي والعيش المشترك.

ويعزز هذا النقد ما يطرحه أنصار الحتمية البيولوجية من أن الجينات تمثل العامل الحاسم في تشكيل السلوك البشري، إذ لا تُفهم أفعال الإنسان وحياته إلا بوصفها نتاجاً مباشرًا للخصائص البيوكييمائية لخلاياه، التي تحددها بدورها البنية الجينية للفرد، وبناءً على ذلك، فإن السلوك الإنساني، ومن ثم البناء الاجتماعي، يخضع لمنظومة مترابطة من المحددات البيولوجية، تمتد من الجينات إلى الفرد ثم إلى المجتمع ككل، ووفق هذا المنظور، لا يمكن التعامل مع الطبيعة البشرية بوصفها كياناً مرنًا أو قابلاً لإعادة التشكيل الجذري دون أن يؤدي ذلك إلى اختلالات بنوية في النظام الاجتماعي والأخلاقي.

وعليه، فإن السعي إلى تحقيق طموحات ما بعد الإنسانية عبر التعديل التقني للطبيعة البشرية لا يمكن النظر إليه بوصفه مساراً تحررياً، بل باعتباره مشروعًا محفوظاً بعواقب وخيمة، تطال الإنسان في جوهره، وتمتد آثارها إلى النظم الاجتماعية والسياسية، إذ من شأن هذا التوجه أن يقوّض مبدأ المساواة بين البشر، ويعيد تعريف القدرة على الاختيار الأخلاقي، فضلاً عن إتاحته أدوات غير مسبوقة للتحكم في سلوك الأفراد، وإعادة هندسة الشخصية والهوية الإنسانية، بما يؤدي إلى قلب البنى الهرمية الاجتماعية القائمة وإعادة تشكيل موازين القوة على المستويين الداخلي والدولي.

وإذا كان أنصار ما بعد الإنسانية يحتفون بالتطورات المتتسارعة في التقنيات البيوطبية، ولا سيما تلك التي تتيح التدخل في الجينات البشرية بدعوى تحسين النوع الإنساني، فإن هذا الاحتفاء يتجاهل المخاطر الوجودية الكامنة في هذه الممارسات. فهذه التقنيات لا تهدد فقط التوازنات الأخلاقية، بل تفتح المجال أمام أشكال جديدة من الاستبعاد والاستبعاد، تقوم على التحكم التقني في الإنسان وتحويله إلى موضوع للضبط والتصميم، والخطر هنا ليس خطراً نفعياً أو مرحلياً، بل خطر وجودي عميق، يتمثل في احتمال فقدان الإنسان لإنسانيته ذاتها، أي لتلك الخصيصة الجوهرية التي شكلت عبر التاريخ وعيه بذاته وإحساسه بمصيره، والأسوأ من ذلك أن هذا التحول قد يحدث بصورة تدريجية وخفية، بحيث يفقد الإنسان جوهره دون أن يدرك لحظة فقدانه، مما يجعل أزمة ما بعد الإنسانية أزمة غير مسبوقة في تاريخ البشرية، لأنها تمتنّ الوجود الإنساني في صميمه لا في مظاهره الخارجية.

## الخاتمة

تُظهر الدراسة أن الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحيوية لا يمثلان مجرد أدوات تقنية محايدة، بل يشكّلان منظومة معرفية وقيمية جديدة تعيد صياغة علاقة الإنسان بذاته وبالعالم من حوله، فبينما يبرز الذكاء الاصطناعي بوصفه رافعة أساسية لتعزيز الكفاءة البشرية، وتحسين جودة الحياة، وتطوير أنماط اتخاذ القرار، فإن تسارع اندماجه في البنى الاجتماعية والاقتصادية والقانونية يثير إشكالات عميقة تتجاوز المنفعة التقنية إلى مسألة الأسس الفلسفية التي قامت عليها النزعة الإنسانية الكلاسيكية.

وقد بيّنت الورقة أن خطاب ما بعد الإنسانية، بما يحمله من دعوة إلى تجاوز مركبة الإنسان وإعادة تعريف الطبيعة البشرية بوصفها كياناً مرنًا وقابلًا للتعديل، يفتح أفقاً نظرياً جديداً لفهم العلاقة بين الإنسان والآلة، لكنه في الوقت ذاته ينطوي على مخاطر وجودية وأخلاقية لا يمكن تجاهلها، خاصة حين يُطرح التعزيز التقني بوصفه مشروعًا حتمياً لا يخضع للضبط القيمي أو للمساءلة القانونية.

وفي هذا السياق، يكتسب النقاش القانوني حول المسؤولية المدنية عن أفعال الروبوتات وأنظمة الذكاء الاصطناعي أهمية مضاعفة، كما يتجلّ في التجربة الأوروبية التي حاولت التوفيق بين الاعتراف بالاستقلال الوظيفي للآلية وبين الحفاظ على مركبة الإنسان عبر نظرية «النائب البشري». غير أن هذه المقاربة، على أهميتها، تظلّ حلاً مرحلياً لا يعالج بصورة نهائية الإشكالات المعيارية المرتبطة بحدود الوكالة، والمسؤولية، والكرامة الإنسانية في عالم آخذ في التحول نحو المجننة التقنية.

ويخلص المقال إلى أن التحدي الحقيقي لا يكمن في رفض التقدم العلمي أو تبني خطاب الخوف من التكنولوجيا، بل في بناء إطار أخلاقي وقانوني نceği قادر على توجيه هذا التقدم بما يضمن بقاء الإنسان فاعلاً أخلاقياً، لا مجرد عنصر داخل منظومة بيانات كونية. عليه، فإن مستقبل الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحيوية يجب أن يُفهم بوصفه مشروعًا إنسانياً مشروطاً بالمساءلة والمسؤولية، لا مساراً تقنياً منفلتاً يعيد تعريف الإنسان على حساب إنسانيته ذاتها.

### المصادر

1. احمد، علال و جمال، خن، ما بعد الإنسانية رؤية فلسفية لمستقبل الطبيعة البشرية، مجلة ابحاث، مجلد 6، العدد 1، الجزائر، 2021.
2. الحفناوي، هالة، ما مستقبل البشر في عالم ما بعد الإنسانية، مركز المستقبل، ابو ظبي، الامارت العربية المتحدة.
3. ضيف لله، زينب، الذكاء الاصطناعي والقانون، مجلة القانون والعلوم البيئية، الجزائر، المجلد 2، العدد 3، 2023.
4. فوكو ياما، فرنسيس، مستقبلنا بعد البشرية عواقب ثورة التقنية الحيوية، مركز الامارت للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دولة الامارات العربية المتحدة، 2006.
5. فوكوياما، فرنسيس، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة احمد مستجير، سطور، 2002.
6. لمياء، حمدادو، الذكاء الاصطناعي: نموذج التحديات المعاصرة للمسؤولية، المجلة الجزائرية للقانون والعلوم، مجلد 10، عدد 1، 2024.
7. سعود، وسيلة، الذكاء الاصطناعي وتحديات الممارسة الاخلاقية، مجلة نماء الاقتصاد والتجارة، الجزائر، المجلد 7، العدد 2، 2023.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء - دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1775330) بتاريخ ٢١/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي يهتم بإجراه الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلاً عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية إلا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبّر الآراء الواردة في الدراسات أو الأوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبعها المركز وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

## للتواصل

00964- 7710122232



Alfaidcenter2011@gmail.com



[www.al-faidh.com](http://www.al-faidh.com)



العراق - بغداد - الكرادة

